# ألكسندرا كولونتاي:*

# Alexandra Kollontai

**"إن حياتي يمكن أن تتخذ مثالا لطرز الشبح القديم"**

**مديحة دبابي**

**باحثة من جامعة سطيف/الجزائر**

## تمهيد:

خلقت الملكيّة الخاصّة والتّنافس والجشع الرأسمالي، استغلال الإنسان للإنسان، وخلّفت وراءها حياة منسلبة، واغترب الإنسان عن ذاته. بل غدا الإنسان سلعة، خاضعة لقانون العرض والطّلب. والأدهى من ذلك أصبحت القوة الحيّة/العمال ثانويّة، بالنسبة إلى القوة الميّتة/الآلة. وشكّل هذا عبوديّة في ثوب جديد يقول ماركس «كل عبوديّة البشريّة تتضمنها علاقة العامل بالإنتاج، وليست كل علاقة عبوديّة إلا تحويرا ونتيجة لهذه العلاقة.»[1] كان لابد من الثورة على هذا النظام

---

* ألكسندرا كولنتاي (1872-1952) فيسلوفة ومناضلة ثورية وأديبة روسية، اسم أسرتها "دمونتوفتش " أخذت اسمها الدائم "كولونتاي " من زوجها. درست الاقتصاد السياسي شاركت في إضراب العمال عام 1896تبلورت قناعتها الإيديولوجية والسياسية فانتقلت إلى معسكر الماركسية. في جامعة زيورخ اطلعت على كتابات روزا لكسمبورغ فكانت من أوائل الثوريات الروسيات اللائي أرسين الأسس لتنظيم ثوري للنساء العاملات، طالبت عام 1906 ألا يكون تنظيم العاملات مستقلا عن تنظيم الحزب الاشتراكي، تنقلت بين الكثير من البلدان، شغلت منصب وزيرة مفوضة مطلقة الصلاحية. أما على صعيد السياسة الثورية الروسية، فقد وقفت كولونتاي في جناح المنشفي عام 1906 ثم انضمت إلى البلاشفة عام 1915 في الحرب العالمية الأولى.

1 ماركس: مخطوطات لعام 1844، تر محمد مستجير مصطفى، دط دار الثقافة الجديدة، القاهرة/مصر 1974، ص 79

الرأسمالي، للقضاء على أشكال الاستعباد والاستغلال وإسقاط الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، وفضح آليات الاستغلال «فالإنسان منذ اليوم يحتاج في كفاحه، في حياته في عمله، في إبداعه إلى أن يشعر بأنه "مؤكد"، "معترف به".»[1] فولدت من رحم النظام البرجوازي الثورة عليه، والتي قادها العمال منادين بالمساواة والعدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة، والدفاع عن حقوق الطبقة الكادحة، التي تبيع ساعات من الحياة (ساعات العمل) مقابل أجرة، ولا يستفيد من الثروة إلا صاحب رأس المال.

شاركت المرأة في الثورة على النظام الرأسمالي، ووقفت جنبا لجنب مع العمال في نضالهم من أجل التحرر من نير الرأسمالية «أسهمت المرأة العاملة إلى جانب العامل في تحطيم الآلات.»[2] حيث اندمجت مطالب النساء بالحرية والعدالة الاجتماعية مع مطالب البروليتاريا، ثم إن تثوير البنية الاجتماعية والاقتصادية، والثورة على النظام السائد، وبناء نظام جديد كفيل للاعتراف بحقوق المرأة المستلبة «إن تحرر العمال يحوي التحرر الإنساني الكلي»[3] فارتبطت قضية تحرر المرأة بتحرر البروليتاريا من الاستغلال الرأسمالي، والهيمنة البرجوازية. فقضية المرأة ذاتها واحد من إفرازات هيمنة تاريخية لهذا النظام.

انتصرت الثّورة البلشفيّة في روسيا واستقر الأمر في يد الثوريين؛ حيث انتزعت طبقة العمّال السّلطة، وشرعت في تطبيق إجراءات ملموسة للنّظام الاشتراكي الذي يحتفي بقوّة العمل من غير تمييز بين الجنسين، فظفرت المرأة في ظل إصلاحات اجتماعية، بحقوق مدنية وسياسية، تمّ حرمانها منها في مجتمع أبوي. وتم إسقاط الوظائف التقليدية للمرأة والاهتمام أكثر بعملها المنتج المفيد للمجتمع.

تعد الماركسيّة من أهم المداخل التي ينبغي استعمالها لقراءة "ألكسندرا كولونتاي" وطروحاتها المتعلقة بالمرأة عاملة وأمّا (من قبيل الأسرة والزواج، البغاء، عمل المرأة، الأمومة، الحب، العلاقة بين الجنسين، والتمييز الاجتماعي لا البيولوجي

1 ألكسندرا كولنتاي: المرأة الجديدة، تر: هنرييت عبودي، دط، دار الطليعة، بيروت/لبنان، دت، ص 32

2 ألكسندرا كولنتاي: تحرر المرأة العاملة، تر فواز طرابلسي وطلال حسين، ط3، دار الطليعة للطباع والنشر بيروت/لبنان، 1978، ص 3

3 مخطوطات ماركس، ص 79

بين الجنسين... الخ)، ولقراءة الحركة العمالية النسويّة التي ساهمت ألكسندرا في إرسائها، والتي اشتغلت على الثّورة ضد النّظام البطريركي، الذي تكرّس في الزّمن وألحق الاضطهاد والتبعيّة والدونيّة بالمرأة. كما اهتمت أكثر بتجديد عقليّة المرأة بما يتوافق وشرط حياتها الجديدة في الدولة العمالية. فلابد من ربط النص بسياقه الذي تناسل منه، فلاغرو أن تظهر أشباح لينين وأنجلز وماركس، على هذا النص والكثير من التمفصلات التي تقيهمها محاضراتها ومقالاتها مع الماركسين ورؤيتهم للعالم وفهمهم للمجتمع.

تبرز جهود "ألكسندرا كولونتاي" الثوريّة، في الحركة الاشتراكية النسويّة التي تطرح القضايا الخاصة للمرأة على اختلافها من استغلال وحرمان، وسبل الاعتراف بالمرأة إنسانا ومواطنا له كامل الحقوق، وإلغاء التبعية الاقتصادية والاجتماعية للرجل. ولم يكن نضالها هذا يتعارض مع نضال الطبقة العاملة، بل آمنت أن تغيير أوضاع المرأة وتحريرها يكون بتغيير المجتمع وتحريره و"يتطابق نضال المرأة العاملة من أجل تأكيد حقها، وشخصيتها مع مصالح طبقتها."[1]

سينتقل الصراع بين الجنسين الذي تحرّكه البرجوازيّة النسويّة، وتبني عليه مطالب المساواة والحرية، إلى الصراع الطبقي عند الحركة العمالية النسويّة، فالتّاريخ يشهد أن سبب الصّراع كان الملكيّة الخاصّة، واحتكار العمل المنتج، فيصبح الصراع بين الجنسين تمظهرا لصراع عميق في تاريخ العائلة الأبوية، التي أكدت تفوق الرجل، فالصراع بين الجنسين في حد ذاته صراع طبقي يقول أنجلز في أصل العائلة «إن أول تضاد بين الطبقات، ظهر في التّاريخ يصادف تطوّر التناحر بين الزوج والزوجة في ظل الزّواج الأحادي. وأول اضطهاد طبقي يصادف استعباد جنس النّساء من قبل جنس الرّجال. لقد كان الزواج الأحادي تقدما تاريخيا كبيرا، ولكنه يدشن في الوقت نفسه، إلى جانب العبوديّة والثروة الخاصّة، تلك المرحلة التي لا تزال مستمرة حتى أيامنا.»[2]. فالصراع الطبقي قديم قدم العائلة الأبوية والعودة إلى تاريخ النظام الرأسمالي سيفسر الصراع الجنسي، وأشكال الاضطهاد، وعلاقات الاستغلال، وتمزيق المجتمع بين غني وفقير، وذكر وأنثى. حيث يتملك الرجل المرأة

1 ألكسندرا كولنتاي: المرأة الجديدة، ص 23

2 فريديك أنجلز: أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، ترجمة: إلياس شاهين،. ص 45

بوصفه أبا أو زوجا وسندا روحيا وماديا، وتبقى المرأة تابعا له اقتصاديا واجتماعيا. وسيكون النضال ضد الملكية في مؤسسة الزواج نضالا ضد الملكية المطلقة. هـذا الذي لن يكون ممكنا إلا متى ما تمت ثورة اقتصادية واجتماعية. تأتي على أركـان هذا المجتمع الأبوي كالأسرة والزواج مثلا. وتضع قيمه وتقاليده موضع التسـاؤل لزعزعة النظام المجتمع السائد الذي يقوم على مبدأ الملكية الخاصة.

## - جذور النظام الأبوي ومسألة اضطهاد المرأة:

ناضلت ألكسندرا ضد تبعية المرأة للرجل اقتصاديا واجتماعيا، كما ناضـلت ضد الاستغلال الرأسمالي لقوة عمل المرأة، كما أتت على الاضطهاد الديني واحتقار الكنيسة للمرأة بوصفها أداة الشيطان. فالسلطة البطريركية ممتدة في كل مؤسسات المجتمع، فتتعرض المرأة لـ «اضطهاد مثلث: عدم الاعتراف بحقوقها من قبل الدولة والمجتمع، استعبادها واسترقاقها داخل أسرتها بالذات، واستغلالها بلا رحمة من قبل النظام الرأسمالي.»[1]. وقد لاحظت ألكسندرا أن تغييب المرأة عن سـاحة العمـل أسهم بشكل رئيسي في حرمانها من حقوقها، وإنـزالها مرتبة ثانوية، والتأكيد على دونيتها وبالتالي توطيد النظام الأبوي.

لا تتوقف ألكسندرا عند اللحظة الراهنة في نقد النظام الأبوي، فهي تلاحـق تاريخيا تشكّل هذا النظام وصراعاته الطويلة مع النظام الأمومي في تاريخ البشـرية، وإحلال المرأة في مرتبة دون الرجل/السيد/الأب. هذا النظام الذي ترسخ في ماضي المجتمعات وبقي يمارس تأثيره عليها في مراحل تطورها اللاحقة «لقد انقضت قرون قبلا أن تصبح عبودية المرأة ظاهرة عامة وقبل أن يصبح عهد سيادة المـرأة ملكـا للأسطورة، إن تفوق الرجل أي نظام الأبوة والقانون الأبوي لم يلد بـين عشـية وضحاها.»[2] كما تضع ألكسندرا الأصبع على بعض تناقضات النظام الأبوي الذي يعترف مثلا بقوة عمل المرأة، لكن في المقابل يبخسها الأجرة نظرا لجنسها الدوني، كما تشير ألكسندرا في بحثها عن التطـور التـاريخي للرأسماليـة إلى الانتقـالات

1 ألكسندرا كولنتاي: محاضرات حول تحرر النساء، الإعداد الكتروني عن موقع المناضل-ة http://www.al-mounadhil-a.info، ص 33.

2 ألكسندرا كولونتاي: محاضرات حول تحرر النساء، ص 9

والقفزات النوعية التي تسجلها المرأة بعملها أو باعتبارها طاقة إنتاجية عند بعض الشعوب، ما يستوجب استحقاقها الاعتراف في تلك المجتمعات التي قلبت فيها مركزية الرجل.

في «أصل العائلة، والملكية الخاصة والدولة»، نجد أنجلز يتحدث عن الهيمنة الأبوية أو الأمومية في بعض المجتمعات البدائية، فمتى ما شاركت المرأة في اقتصاد تلك المجتمعات استحقت الاعتراف والاحترام «إن الشعوب التي يجب عندها أن تشتغل النساء أكثر بكثير مما يترتب عليهن حسب تصوراتنا، تبدي في غالب الأحيان من الاحترام الحقيقي للنساء أكثر بكثير مما يبديه أوروبيونا»[1].

إذا كان الاشتراكيون ينضالون من أجل مجتمع جديد، تسوده العدالة الاجتماعية والمساواة، فإن نقاط الثورة على النظام السائد ستبدأ من الأسرة، ومن تفكيك العائلة** التي تقوم على سيطرة الأب وسلطته، وتحرير الخاضعين له وإسقاط التراتبية العقيمة حيث المرأة تابعة، ومستغلة. إذ أن بقاء المرأة أسيرة رغبات الزوج والأعمال المنزلية أي لممارسة عمل غير ذي قيمة على المجتمع يضعف جانبها في الدفع بوضعها إلى التحرر «إن تحرر المرأة، ومساواتها في الحقوق مع الرجل، أمر غير ممكن، لا الآن ولا في المستقبل، ما دامت المرأة مقصية عن العمل المنتج الاجتماعي، ومضطرة إلى الاكتفاء بالعمل البيتي الخاص.»[2]. فأسباب الهيمنة الذكورية واضطهاد المرأة، ناتج عن إقصائها من العمل المنتج، الذي يحتكره الرجل أو رب الأسرة، فهي مربوطة اقتصاديا بزوجها، والذي يعزز من خلاله سلطته وسيطرته على المرأة، وبقاها في وضع التابع، ومجرد آلة لإنجاب الأولاد وأداة للذته ومتعته كما تقول ألكسندرا.

---

1 أنجلز: أصل العائلة، ص 33

**العائلة الأبوية كما جاء في أصل العائلة هي: تنظيم عدد معين من الأشخاص، الأحرار وغير الأحرار، في عائلة تخضع للسلطة الأبوية لرئيس العائلة. والعائلة عند الرومانيين كما يذهب أنجلز تعني الهيئة الاجتماعية التي كان رئيسها سيدًا على المرأة والأولاد وعدد معين من العبيد، وكان يملك بحكم السلطة الأبوية الرومانية، حق الحياة والموت على جميع هؤلاء الأشخاص الخاضعين له. بل إن كلمة familial كانت تعني العبيد فقط. ينظر أنجلز: أصل العائلة، ص 38

2 أنجلز أصل العائلة، ص 111

على غرار «أصل العائلة، والملكية الخاصة والدولة»، لأنجلز نجد ألكسندرا في محاضراتها، تأتي على ذكر تاريخ النظام الأبوي، ومختلف الحقب التاريخية التي كرست الهيمنة الذكورية فحتى يمكن التفكير في قضية تحرير المرأة لابد من مراجعة لهذا الإرث الأبوي. ومحاولة إقحام المرأة في سيرورة تكوين المجتمع بانخراطها في الصراع الطبقي، من أجل إثبات وجودها وفرض حضورها، بفضح سياسة الاستغلال والتهميش التي تكرسه الثقافة الأبوية، فـ "إن عبودية المرأة قد ولدت يوم كفت هذه الأخيرة عن إنتاج مفيد ومنتج بالنسبة إلى المجتمع برمته."[1] يكشف تحليل ألكسندرا التاريخي أن وضع المرأة مرتبط بوضعها الاقتصادي، فمتى ما قدّمت عملا منتجا مفيدا للمجتمع استحقت الاحترام والعكس صحيح. وسيتم تفنيد الأطروحة البرجوازية التي تعتبر أن تقدم الثقافة والعلم، هو وحده من يحقق الاعتراف بالمرأة، بل بتغيير المجتمع، وإسقاط ما ترسب في ذهنيته من تفوق للرجل، وكذلك حسب وضع المرأة فيه ومشاركتها في الإنتاج وحده من سينهي تبعية المرأة للرجل فكما يقول ماركس «إن العمل – نشاط الحياة، الحياة الإنتاجية ذاتها»[2].

في الشيوعية البدائية حظيت المرأة بمكان رئيسي نظرا لأعمالها المنتجة مثل الزراعة، النسج والرسومات الفنية على الأواني الفخارية... ثم الوظيفة التي تعبر أكثر إنتاجية هي إنجابها الأولاد/قوى عمل جديدة، وهنا عاشت تلك المجتمعات الزراعية في ظل نظام أمومي (matriarcat)حيث تفوقت المرأة على الرجل وعاشت نلك المجتمعات في حالة استقرار. في المقابل تطور النظام الأبوي لدى الشعوب التي تمارس تربية الحيوانات ويعشون على النهب والغزو، فالرجل وحده صاحب الثروة وجعل المرأة خادمة لحيوانته حتى تتعاظم ثروته الحيوانية بل هي ذاتها ملك له. وتشير ألكسندرا في محاضراتها إلى الكثير من الممارسات القمعية تجاه المرأة عند بعض الشعوب الرعوية «لقد ظلت المرأة تمارس هيمنتها –نظام الأمومة –ما بقي المجتمع مرتبطا بمصالح مشتركة، وما أدت المرأة فيه دور المنتج الرئيسي، وقد فرض نظام الأبوة نفسه مع ظهور الملكية الخاصة والمنازعات المصلحية، التي أثارتها بين أفراد القبيلة الواحدة، فالتضامن الغريزي الذي يخلفه المنزل حيث السيادة للأم،

1 ألكسندرا كولونتاي: محاضرات حول تحرر النساء، ص 52
2 مخطوطات ماركس، ص 73

ما عاد يكفي للحؤول دون تفوق القبيلة وتشتتها، وقد اقتضى الحفاظ على وحدة القبيلة إيجاد ضرب جديد من التضامن القائم على سيطرة الأقوى وسيادته»[1] يكشف هذا التحليل أن الدور الاقتصادي للمرأة يلعب دورا أساسيا في اضطهادها أو في فرض احترامها.

توطد النظام الأبوي في المرحلة الانتقالي من الشيوعية البدائية مع ظهور الملكية الخاصة وانحسرت حقوق المرأة وأصبح مهمتها الأولى والأخيرة هي كما تقول ألكسندرا "التفريخ"، وترتب على هذا أن ترافقت العبودية مع ظهور الملكية الخاصة، وتضاءلت أهمية المرأة كعامل منتج، «إن اضطهاد المرأة يرتبط بتقسيم العمل القائم على تمايز الجنسين، وهو التقسيم الذي أتاح للرجل أن يحتكر كامل العمل المنتج وترك للمرأة المهام الثانوية.»[2]" وهنا تربط ألكسندرا بين حقوق المرأة، ودورها الاقتصادي الذي تراجع بسبب احتكار الرجل للعمل المنتج وترك لها العمل الثانوي إذن نجد تفسيرا لحرمان المرأة من حقوقها هو اهتمامها بأعمال ثانوي غير منتجة إلا على مستوى فردي وضيق.

لم يختلف عصر الوسيط عن غيره، فيما يخص وضع المرأة وحرمانها من حقوقها، بل غدت المرأة في العصور الكنسية أداة الشيطان، ومصدر إغواء، ولا يخفى أن الكنيسة في القرون الوسيطة حاربت العلم واعتقلت العقل في تصورات ماورائية واستبعدت الجسد.. وبقيت السلطة البطريركية فارضة هيمنتها ووجدت تعزيزا دينيا لها «إن سائر الأديان الموسومة بميسم النظام الأبوي، قد أجحفت بحق النساء، ولا سيما عندما أنزلت دونية المرأة بالقياس إلى الرجل منزلة القانون الإلهي.»[3]

مع صعود البرجوازية وأفول الإقطاعية، شاركت المرأة في حركة الإصلاح، وشهدت في ذلك الوقت مشاركة علمية للمرأة، الأمر الذي كان حكرا على الرجل، وتمتعت المرأة المتفوقة بقدر من الحقوق لسبب مهم هو تغيير النظام الاجتماعي. لكن ما تلبث السلطة البطريركية تعود في صورة جديدة، فما إن

1 ألكسندرا كولونتاي: محاضرات حول تحرر النساء، ص 9
2 المرجع تفسه، ص 10
3 المرجع نفسه، ص 24

استقر الأمر للبرجوازية باستقرار النظام الاقتصادي وتطور رأس المال، ازدادت ثروة الرأسمالي خاصة مع ظهور الصناعة وازداد معها تدني مستوى حياة العامل الـــذي غدا ثانويا أمام الآلة، هذا وقد تعاظمت في المقابل مشاركة المرأة كقوة عمل مهمة في الاقتصاد، لكن لم ينعكس هذا على حياتها «فثمة تناقض جوهري وغير قابـــل للتذليل، بين أهمية المرأة الاقتصادية وبين حالة التبعية، والاستلاب التي هـــي مـــن نصيبها في الأسرة والدولة والمجتمع.»[1]

فعلاً تم تحرير المرأة من الأعمال المنـــزلية، والتبعية المادية للزوج بخروجها إلى العمل، لكن في المقابل ظهر استغلال جديد، هو اضطهاد صاحب المال ووقوعهـــا فريسة لجشعه؛ فالدولة الرأسمالية تعترف بهن كقوة عمل مهمة، لكن تبخسها الأجر بحجة جنسها، أو قد تتقبل مشاركة المرأة في الحرب وتغض النظر عن جنسها.

في الوقت الذي بدأت تتكوّن فيه البروليتاريا بظهور عصر الصـــناعة ارتـــبط مصير المرأة العاملة بمصير الطبقة الكادحة خاصة وأنه قد تم استغلالهن كما اســـتغل رفاقهن العمال، لكن هذا الارتباط بحسب ألكسندرا انعطافة تاريخية مهمة في وضع المرأة، حيث ظهرت الشروط اللازمة لتحررها فـــ «مساواة المرأة مع الرجل الـــتي ديست طوال قرون أضحت من مطالب النضال المشترك للطبقة العاملة مـــن أجـــل الحصول على حقوقها ومن أجل تحقيق ســـيطرة البروليتاريـــا إن نمـــط الإنتـــاج الاشتراكي الذي يعبئ النساء كافة من أجل العمل المنتج هو اليوم الدعامة الأكيدة لتحررهن الكامل والشامل في المستقبل»[2]

في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، ولدت "قضية النســـاء" حول حقوق المرأة اذ أحسسن بهامشية وجودهن، فولدت الحركـــة البرجوازيـــة النسوية متأثرة بفلاسفة القرن الثامن عشر ودعاوى تحريـــر الإنســـان والعلمانيـــة والفردية والثورة على الكنيسة، وكذلك العمل الشجاع للمرأة ونضالها هو الـــذي أيقظ غالبية النساء اللاتي رحن ينظمن أنفسهن للدفاع عن مصالحهن. وستظهر في أعقابها الحركة العمالية النسوية، ومن رحم المجتمع البرجوازي ذاته «إن ازدياد وعي المرأة بحقوقها كإنسانة، يعرضها للصراع من أجل تحقيـــق ذاتهـــا داخـــل البيـــت

1 المرجع نفسه، ص 41
2 المرجع نفسه، ص 34

وخارجه»[1] فكل مطلب بتحرر المرأة لايكون ممكنا إلا ما إذا حدثت تحولات ثورية للنظام الاجتماعي. ومانستخلصه من نتائج تحليل شروط تحرر المرأة هو عمل المرأة المنتج الذي سيزيح الكثير من أثقال تبعية المرأة للرجل.

## صراع النوع أم صراع الطبقة:

طرحت حركة النساء البرجوازيات قضايا المساواة ودافعت عن المرأة وناضلت من أجل الاعتراف بحقوقها كحق الاقتراع، والمساواة بالرجل والمساواة على صعيد التربية والتعليم والعمل وحرية دخول المرأة إلى جميع المناصب الوظيفة العامة وقد تمكنت البرجوازية النسوية كما تذهب إلى ذلك ألكسندرا من "طرح دقيق وواضح لمسالة المرأة"[2] لا تخفي ألكسندرا إعجابها بالحركة البرجوازية النسوية، لكن مع توجيه النقد إلى بعض مطارحاتها، وتبقى ألكسندرا مرتابة من هذه الحركة إذا تقول «انحدرت الحركة النسوية البرجوازية في القرن التاسع عشر من سياسية ذكورية وبرجوازية»[3]. يبرز الاختلاف بين الحركتين انطلاقا من الإيديولوجية التي تنطلق منها هذه أو تلك.

داخل مسألة "طلب المساواة الكاملة" بين الجنسين الذي تنادي به الحركة البرجوازية النسوية والتي تعمل من خلاله على إثارة الصراع والتناحر الجنسي بين ذكر وأنثى، تكون النسوية البرجوازية قد جنت على بعض الحقوق الاجتماعية للمرأة لهذا تعبر ألكسندرا طلب المساواة التامة خطأ أو مساواة مضللة وصراعا مفتعلا «والخطأ الفادح الذي وقعن فيه، يتمثل في اعتقادهن بأن الاعتراف بحقوق المرأة مرهون بتساويها التام مع الرجل، لذا راحت المتطرفات من بينهن يرتدين ثيابا رجالية، كتعبير عن موقف مبدئي وليس لأن هذه الثياب أكثر توفيرا للراحة، ويقصن شعورهن تشبها بالرجال، ويتباهين بحركات وتصرفات ذكورية.»[4]

---

1 نوال السعداوي: المرأة والصراع النفسي، دط، مؤسسة المعارف بيروت/لبنان، دت، ص 94

2 ينظر ألكسندرا كولونتاي: محاضرات حول تحرر النساء، ص 43

3 المرجع نفسه، ص 47

4 المرجع نفسه، ص 48

التشبه بالرجل وتقليده وتكرار صورته كما هي، أي التطابق التام مع الرجل كنموذج، فالمرأة هنا تقّر –شعرت أم لم تشعر – بتفوقه، ولهذا فهو شكل جديد من الاستلاب أو هو تحرر كعبودية، ليؤكد مجددا انتصار السلطة البطريركية، هذا إذا لم نقل أنها تعيد صياغة الذكورة في صورة جديدة خاصة وأكثر لؤما.

فهذا المطلب البراق يلغي الوضع الخاص المختلف للمرأة، فهو لا يحترم الاختلاف الجنسي، ويغلق باب الاعتراف بالحقوق الاجتماعية للمرأة/الأم، لهذا ترى ألكسندرا تلح على مراعاة خصوصية المرأة البيولوجية التي تغدو وظيفة اجتماعية «فالاشتراكيون الذي يطالبون بالحقوق المتساوية للنساء في الدولة والمجتمع، لا يغمضون أعينهم عن كون مسؤوليات المرأة تجاه المجتمع، سوف تبقى مختلفة إلى حد ما عن مسؤوليات الرجل فالمرأة ليست فقط عاملا ومواطنا مستقلا، بل أيضا أم وحاملة الغد في أحشائها، وهذا ما يؤدي إلى سلسلة كاملة من المطالب الخاصة»[1] فما هو خاص في المرأة يجب الاستثمار فيه لتحقق المرأة مصالحها وسيعطيها حقوقا لا ينالها الذكر كحق الأمومة الذي يتحول من غريزة طبيعية خاصة بالأنثى إلى وظيفة اجتماعية تستفيد منها المرأة والمجتمع على السواء تبرز التماعة هنا: أي ما كان بالأمس سبب اضطهدها واستغلالها (طبيعتها وجنسها) يتحوّل إلى وظيفة اجتماعية منتجة تستحق الاحترام والرعاية، فما كان سبب ضعف وقهر يكون هو ذاته سبب قوة وتفوق.

وهذا ما فشلت فيه البرجوازية النسوية: الدفاع حق المرأة الأم، فكانت حركتهن محدودة وأحادية بل وصلت إلى مأزق كما تقول ألكسندرا. وستفهم ألكسندرا المساواة على أساس أن يكون لعمل للمرأة نفس قيمة عمل الرجل، ليست مطالبة بمحاكاته، فلا تثير البروليتاريا النسوية مثل هذا الصراع بل المرأة والرجل متشاركين معا في نضال الطبقة العاملة. فمطلب المساواة عند البروليتاريا النسوية التي ترفع شعار: "الحق في العمل" هو:

- الانتساب إلى النقابات بمثل الشروط التي ينتسب إليها الذكر
- العمل الواحد أجر واحد

1 ألكسندرا كولنتاي: تحرر المرأة العاملة، ص 13

- حماية العمل النسوي
- رعاية الأمومة[1]

لهذا ترى ألكسندرا أن الحركة البرجوازية النسوية تفتقد إلى الحس السياسي، لأن القضية أكبر من إثارة صراع نوعي، ذلك أنه كما سبق أن ذكرنا أن الحضارة الغربية ذكورية قامت على تفوق الذكر، وأن المرأة صعدت أم نـــزلت ومهمـــا شاركت في الإنتاج وغير ذلك تبقى أداة جنس وتفريخ لا عقل لهـــا. إن الســـلطة البطريركية قد نفذت إلى كل المؤسسات الاجتماعية فسلطة الرجل ليست مستقلة عن أشكال القمع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة «لا يجب النظر إلى أن النظـــام الأبوي بلا أصول، أو تنوعات تاريخية فهذه فكرة تتجاهل علاقة التشكل الـــذي تربط النظام الأبوي بالرأسمالية»[2] لهذا يجب أولا الثورة على هذا النظـــام وتغـــييره وانتهاء استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، حتى يمكننا الحديث عن تحرر المرأة.

## الجنوسة: الوسم جنسيا إجتماعي

وهي تفضح التناقض الرأسمالي في اعترافه بقوة عمل المرأة وبخســـها أجرهـــا، وعدم المساواة بين المرأة والرجل في الأجر، تلتفت ألكسندرا إلى قضية مهمـــة لمـــا تقول: «إن أسباب بخس قيمة العمل النسوي كانت ولا تزال حتى أيامنـــا هـــذه اجتماعية لا بيولوجية.»[3] فدونية المرأة وتبرير استغلالها ليس بسبب جنسها كمـــا يدّعي البرجوازي بل بسبب اجتماعي تاريخي اقتصادي، هنا تمفصـــل مهـــم مـــع طروحات النسوية المعاصرة وتفريقها بين الجنس sex، والجنوسة أو الهوية الجنســـية gender «أما الجنس فيتحدد بيولوجيا في حين أن الهوية الجنسية مفهـــوم ثقـــافي مكتسب»[4]. فالهوية الجنسية تتشكل ثقافيا وتاريخيـــا، إذ إن الحضـــارة الغربيـــة الذكورية كرست عبر حقب تاريخية تفوق الرجل ودونية المرأة، في كافة منـــاحي

1 كولونتاي: محاضرات، ص 51
2 رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، تر جابر عصفور، دار قبـــاء للطباعـــة والنشـــر والتوزيع، القاهرة/مصر، 1998، ص 201
3 كولونتاي: محاضرات، ص 37
4 رامان سلدن: النظرية الدبية المعاصرة، ص 198

الحياة الاجتماعية، فالوسم الجنسي لا يرجع إلى طبيعية الجنس والنوع البشري، بل المجتمع هو من يسم الإنسان أما قويا/ذكرا أو ضعيفا/أنثى، ومن هذا الوسم يتم تبرير استغلال الإنسان للإنسان أو يخول له حتى اضطهاده أو تملّكه وتنشأ الصراعات والتناحرات «إن الغياب الحالي لحقوق المرأة، وعدم استقلاليتها بذاتها، وصلاحيتها المحدودة داخل الأسرة والمجتمع، ماهو بحال من الأحوال صفات فطرية خاصة ب"طبيعة" المرأة، فليس من الصحيح أن النساء هن دون الرجال ذكاء، كلا إن تبعية المرأة، وعدم تحررها لا يجدان تعليلا لهما في سمات "طبيعية" مزعومة، وإنما في طبيعة العمل الموكل إلى المرأة في مجتمع محدد.»[1] فألكسندرا هنا تربط بين وضع المرأة في المجتمع وطبيعة العمل الذي تعمله؛ فالأمر خاضع إلى قانون اقتصادي هو وضع مشاركتها في إنتاج الثروة وهذا الوضع أكدته عبودية القرون العمل الثانوي غير المنتج الذي أوكل للمرأة، واحتكار القوي/الرجل العمل المنتج، وهو وهو ما يعني أن تبقى المرأة/الضعيف تابعة ماديا للرجل/السيد، ويبقى وضعها دون الرجل. ومن هنا يخلق التمايز والتمييز لا بسبب جنسها بل بسبب اجتماعي.

فهذه "المرأة" منتوج ثقافة أبوية ربما لهذا نجد ألكسندرا دائما تتكرر مثلا: أن المرأة وليدة النظام الرأسمالي وأن الحركة النسوية بشقيها وليدة هذا النظام والبغاء ابن النظام الرأسمالي وهكذا... أي إنها تشكلت وتكوّنت في رحم هذا النظام المستبد الذي قام على الملكية الخاصة والتفوق والصراع، ولهذا سنرى فيما بعد ألكسندرا تدعو إلى ثورة مزدوجة ثورة على النظام، وثورة على ما ترسب في ذهنية المرأة بدونيتها وضعفها وزعزعة الطاعة العمياء التي أرضعها إياها ذلك النظام «الأنثى تتحول إلى امرأة ضمن واقع ذكوري متسلّط، تشكّلت شخصيته انطلاقا من مفهوم السلطة التي وضعت ملامحها وحدودها السلطة الاقتصادية عبر العصور، وبذلك صرخت سيمون دي بوفوار "إن الشخص لا يولد امرأة، بل يصبح امرأة"، ومن ثم أصبح النضال الاجتماعي من أهم ركائز التغيير في وضعية المرأة»[2] فالمرأة تصبح امرأة ولا تولد امرأة في المجتمع الذكوري، لأن الأخير هو من يحدد الجنس

1 كولونتاي: محاضرات، ص 3

2 عبد النور إدريس: الكتابة النسائية،. حفرية في الأنساق الدالة، الأنوثة، الجسد، الهوية، ط1،. مطبعة سجلماسة – مكناس– المغرب، 2004، ص 97

وطبيعة البشر، ربما لهذا أيضا تعد الأمومة وظيفة اجتماعية لا طبيعية هي الأخرى كما بدّعي النظام الرأسمالي «إن الشيوعية وحدها هي التي ستخلق ظروفا، لا تكون فيها الأمومة الوظيفة الطبيعية للمرأة.»[1] إذن الجنوسة هي مفهوم ثقافي يتشكل تاريخيا. ولهذا يعد الصراع الجنسي صراعا مضللا ومفتعلا.

وبدل الصراع الجنسي المضلل سيتحتم على الطبقة العاملة أن تتجاوزه، وتناضل من أجل مصلحتها فقط ولهذا تشترك نساء ورجال البروليتاريا في الهدف/الثورة على النظام الاجتماعي السائد، وسيكون التمييز الجنسي ضد مصلحة العمال «إن للنقابات مهمة محددة – النضال من أجل المصالح الاقتصادية لأفراد الطبقة العاملة، وهذه المصالح الاقتصادية هي بالضبط المصالح التي تجمع في وحدة واحدة لا تنفصم الرجال والنساء من أبناء البروليتاريا، من هنا فإن التمييز بين الجنسين على هذا الصعيد هو تمييز مصطنع ويسير باتجاه معاكس تماما لمصالح العمال والعاملات»[2] وتشير ألكسندرا إلى بعض الترسبات الرجعية في صفوف بعض العمال الذكور، الذين يتبنون موقفا عدائيا تجاه المرأة، دفع في بعض الأحيان النقابات إلى إقفال أبوابها في وجه النساء وهذا بحسبها فهم ضيق وخاطئ لمصالح العمال أو بعض النقابات النسائية التي تشغل النساء فقط تعتبرها كذلك عدائية، ونمت في الطبقة البرجوازية، وإفرازا من إفرازات الراسمالية الأنانية التي لا تقبل الحياة الاجتماعية المشتركة[3].

ومن خلال فضح وهم التمييز وإحلال الصراع الطبقي بدل الصراع بين الجنسين، ومحاولة اجتذاب العمال والعاملات إلى النضال ضد الرأسمالية، وما دون ذلك يعد تهديدا لمصلحة تلك الطبقة الكادحة المقهورة.

ولما كانت السلطة الذكورية قد تغلغلت في شتى المؤسسات الاجتماعية، فإنه في المقابل لابد من "تطوير أشكال نضالية" جديدة كما تقول ألكسندرا بما أن السلطة الأبوية تخترع أشكال اضطهاد جديدة.

---

1 كولونتاي: تحرر المرأة العاملة، ص 38
2 المرجع نفسه، ص 22
3 ينظر: المرجع نفسه، ص 24

## الحركة العمالية النسوية:

يندرج نضال المرأة من أجل المساواة والحقوق في نضال أكبر، هو نضال الطبقة العاملة، وفضح جشع الرأسمالية. وعلى الطبقة العاملة كذلك أن تضم هذه الفئة إليها بدل الصراع والتناحر معها ودمج مطالبها بمطالبهم لسبب وجيه أن استغلال المرأة من قبل الرأسمالي، واعتيادهن على الطاعة العمياء يهدد العمال، خاصة أن أجر المرأة أقل من أجر الرجل، ما يفسح المجال أمام صاحب المال أن يستعملها لضرب العمال، فيسرحهم من العمل ويزيد في استغلالهم واستعبادهم، فمصلحة العمال تقتضي دمج النساء في نضال طبقتهم.[1] وبالمقابل من مصلحة العاملات الانضمام إلى الحزب. فالحركة العمالية النسوية لا تقصر على القضايا النسوية البحتة بل ستربط بين مصالح المرأة ومصالح الطبقة العاملة، وترفض ألكسندرا المحايدة التي تبنتها النسوية البرجوازية فهن في نظرها يفتقدن إلى الوعي السياسي"إذ لا يربطن مصالحهن بمصالح حزب محدد"[2] فالاهتمام بالقضايا النسوية البحتة هو أنانية لا تتفق ومبادئ الشيوعية بل يجب محاربتها. وهنا ستكون رابطة عضوية بين النسوية البروليتارية والبروليتاريا، فيتداعى ذالك الصراع بين الجنسين، وتوحد بينهما في هدف واحد هو اقامة وبناء الشيوعية «إنه لا وجود للتناقضات التناحرية والصراعات المصلحية داخل صفوف البروليتاريا، فالبروليتاريا تشكل وحدة، إنها طبقة لا وجود للحرب بين الجنسين وتحرر المرأة يشكل جزءا من أهدافها البعيدة المدى»[3] ولا يعني هذا أن النسوية الاشتراكية تذوب في الطبقة العاملة بل لها خصوصية ترجع إلى خصوصيات المرأة ذاتها فالحركة النسوية الاشتراكية تتمتع باستقلالية انشغالاتها التي لا تتعارض مع مطالب الطبقة العاملة «إن الحركة البروليتارية النسائية جزء لا يتجزأ من الحركة العمالية الشاملة، إلا أنها تتمتع بمميزات خاصة، مردها الظروف الخاصة بحياة المرأة العاملة، والموقع الاجتماعي والسياسي المميز الذي تحتله المرأة في المجتمع.»[4]

---

1 ينظر: كولونتاي: محاضرات، ص، ص 37، 38

2 المرجع نفسه، ص 47

3 المرجع نفسه، ص 51

4 كولونتاي: تحرر المرأة العاملة، ص 12

فقضية المرأة بالنسبة للاشتراكيين جزء عضوي من القضية الاجتماعية الشاملة، خاصة وأن النساء العاملات في تزايد، فلابد تنظيم خاص بهن يناقش المهام الاجتماعية العامة المتعلقة بتحرر النساء، والمصالح الحيوية للعاملات بوصفهن نساء وأمهات فهن قوة عمل مزدوجة الوظيفة. وانعكس عمليا في قيام عمل حزبي متخصص بين النساء وصدور مجلة المساواة (غلايشهايت) وكما ترأست النساء المؤتمرات وأجمعت على ضرورة جذب المرأة العاملة إلى الحزب والصراع الطبقي ومحاولة تنظيمهن «لكن العاملات كن مبعثرات لا يضمهن تنظيم ولا يربطهن بزملائهن العمال أي رابط، تظهرن كمنافسات خطيرات يهددن بتخريب تقدم نضالات العمال المنظمة فبدت مسألة تنظيم المرأة العاملة في تلك السنوات كمسألة حيوية وملحة»[1].

سعت ألكسندرا إلى تأسيس عمل اشتراكي بين النساء، خاصة مع تزايد اليد العاملة النسوية فاحتاجت إلى تنظيم نقابي فناضلت على جبهتين ضد الحركة النسوية البرجوازية، وتناضل من أجل تنظيم العاملات ودراسة قضايا المرأة العاملة وطالبت بإنشاء حزب متخصص للعمل بين النساء انطلاقا من خصوصية أشكال القهر والاستغلال الإضافية التي تتعرض لها المرأة، فلابد من توعية النساء على حقوقهن لمحاربة كافة أشكال الهيمنة والتمييز والذي لايكون ممكننا إلا في ظل نظام اشتراكي وهنا تم تجنيد المرأة سياسيا، وحتى تكتسب المرأة الاعتراف العام بها لا بد مما يلي:

- معالجة قضية المرأة دون أفكار مسبقة.
- تقييم أعمالها فقط من منظار مهارتها.
- تكنيس كافة العقد والترسبات ضد النساء.
- بناء مجتمع جديد قادر على تحقيق المساواة.[2]

في تقريرها أمام المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية (موسكو22 حزيران –12 تموز 1921) تحاول ألكسندرا التأكيد على العمل السياسي والاقتصادي للمرأة كمهام مباشرة للقطاعات النسائية، ثم تنقل في تقريرها إلى العمل السياسي للمرأة عند

1 المرجع نفسه، ص ن
2 ينظر المرجع نفسه، ص، ص 2، 7

الأحزاب الاشتراكية في الجمهورية السوفياتية، وفي الدول الرأسمالية وفي الشـــرق، لتقترح عملا نسويا على صعيد عالمي والتي من شانها أن توسع النضال الثوري. وما تقترحه مثلا من تطبيقات عملية على الجمهورية السوفياتية التي انتهت السلطة فيها بيد الطبقة العاملة مايلي:

- إشراك العاملات في تنظيم وبناء الاقتصاد الوطني.
- تربية الجماهير النسائية بروح شيوعية
- إعداد القوانين الجديدة وإدخال التعديلات على القـــوانين الســـارية وفقـــا لاحتياجات التحرر الفعلي للمرأة
- تطوير التشريعات التي تحمي حقوق المرأة.
- إشراك العاملات في حملات الانتخاب.
- إشراك المرأة في جميع مجالات التنظيم السوفياتي ابتداء من الدفاع العســـكري وانتهاء بالعمل الاقتصادي.
- تعزيز نشاط منظمات رعاية الأمومة والطفولة[1].

فهاته الحركة لا تدعو إلى استقلال النساء عن الرجال، بل استغناء واستقلال المرأة اقتصاديا واجتماعيا وحتى عاطفيا عن الرجل/السند بفضل عملها والعيش معا في حياة مشتركة بعيدة عن الاستغلال والملكية.

## التحولات الثورية في الحياة اليومية للمرأة مع النظام الاشتراكي

في ظل سيادة البروليتاريا على السلطة في روسيا، يتغير وضع المرأة بتغير نظام الحكم، والذي عمل على هدم عبودية المرأة، والتأكيد على استقلالها والـــتخلص من إفرازات الرأسمالية التي ألحقت التبعية، وحتى تتم الاستفادة المتناهية من عمـــل المرأة لابد من تحريرها، ولا يكون هذا إلا بتغيير شروط حياتها بإجراءات عمليـــة اجتماعية وسياسية وخلق شروط حياة جديدة لزيـــادة الإنتاجيـــة ومـــن هـــذه الإجراءات[2] مايلي:

1 ينظر المرجع نفسه ص 41

2 ينظر: كولونتاي: محاضرات، ص، ص 59، 60، 61، 64، 69، 70

- منح المرأة المساواة السياسية والمدنية مثل حق المرأة في أن تُنتخب.

نص قانون الزواج الجديد: إن الزواج هو شراكة بين فردين متساويين، وهنا لم تعد المرأة تنصاع لرب الأسرة وتخضع لرغباته وتابعة لـه ماديـا. فـالمرأة تخلصت من العلاقات الزوجية المنبثقة عن الفكر البرجوازي. فالزواج لـيس مؤسسة أبوية، بل حياة مشتركة رفاقية «على أنقاض الأسرة السابقة سـوف يبنى شكل العلاقات بين الرجل والمرأة جديد كليا: اتحاد عاطفي -رفاقي يقوم على المساواة بين مواطنين من أبناء المجتمع الشيوعي في ممارسـة حريتـهما واستقلالهما وعملهما»[1]

- إحلال اقتصاد منـزلي جماعي مكان اقتصاد منـزلي فردي: فظهرت رياض الأطفال، المطاعم الجماعية المغاسل... هنا تحررت المرأة من العمل المنـزلي، وتربية الأطفال، ثم هناك أمر آخر هو التربية الاجتماعية للأطفـال وتكـون الغاية من هاته التربية هي ولادة إنسان جديدة تربى على حياة مجتمعية.
- تلاحق السلطات المحلية البغاء لا لأنه يفسد الأخلاق بل لأن المرأة تهرب مـن العمل المنتج، فلا تفرق الدولة العمالية بين المرأة التي تمارس البغاء والزوجـة الشرعية، ذلك أن كلتيهما تابعة ماديا للرجل، ولا تساهم بعملها في زيـادة الثروة الاجتماعية، وهي تعيش في الواقع على عمل الآخرين فلافـرق بـين زواج شرعي وبغاء بل أن البغاء لبس ثوبا جديدا هو الزواج النفعي كما ترى ألكسندرا وهو وليد النظام الرأسمالي "البغاء ظاهرة اجتماعية وأثبت علاقتـه المباشرة بانقسام المجتمع إلى طبقات، وباستغلال قوة العمل من قبل الرأسمال"[2] وتقول في مكان آخر البغاء «إن البغاء هو ابن النظام الاقتصادي السائد وابن مؤسسة الملكية الفردية، وما إن تلغى هذه المؤسسة حتى تزول تجارة النسـاء من تلقاء ذاته.»[3] فالبغاء تشييء جسد المرأة ومتاجرة به، تصبح المرأة بضاعة في سوق حر خاضعة لقانون العرض والطلب وهو ما تحاربه الاشتراكية فلابد أن تعي الأم العاملة دورها الاجتماعي.

---

1 كولونتاي: تحرر المرأة العاملة، ص 34

2 كولونتاي: محاضرات حول تحرر النساء، ص 53

3 كولونتاي: تحرر المرأة العاملة، ص 34

- رعاية صحة الأم: لأن وظيفة الأمومة الطبيعية ستكون اجتماعية لأنها أم الأجيال الصاعدة (المستقبل) وهنا تعطي الدولة حقوقا خاصة للمرأة بوصفها أما وتكون هنا رعاية مادية للأم كالحصول على إجازة أمومة مدفوعة الأجر، ومنحة الرضاعة، وإعفائها من العمل، وتوفير التربية الاجتماعية لطفلها. وبخصوص الأم العازبة: لم يعد أصل الطفل مهما، فلا تفرق الدولة بين طفل شرعي وآخر غير شرعي بل الدولة ترعى جميع الأطفال لأن الطفل عامل المستقبل.

فهاته الإجراءات العملية للنظام الاشتراكي تحدث تحولا جذريا للحياة اليومية للمرأة وتخليصها من كل المعيقات التي كانت بالأمس أسيرة له.

## الأسرة والشيوعية: العيش المشترك/مشاركة العيش

ترى ألكسندرا أن البرجوازية إبان صعودها الأول، خاصة مع حركة الإصلاح لما شاركت المرأة في تلك الثورة قد وجهت ضربة للنظام الأبوي، ودمرت العلاقات الاجتماعية السائدة، ثم نجحت الرأسمالية في إخراج المرأة من المنزل للعمل ونالت استقلالها المادي بخروجها إلى العمل، لكن ليس علينا أيضا أن ننسى أن النظام الأبوي تصالح مع الرأسمالية، وكرست هي الأخرى الهيمنة والاضطهاد والاستغلال بحجة جنسها وطبيعتها. وبقيت المرأة مستغلة في الدولة والمجتمع وفي أسرتها. وستضع ألكسندرا الأسرة موضوع دراسة واهتمام كبير ربما لسبب وجيه هو أنه يمكننا كما يقول أنجلز: «من دراسة طبيعة التناحرات والتناقضات المتطورة تمامًا في قلب هذا المجتمع»[1]

أسهم التغيير الجذري في حياة المرأة مع انتصار البروليتاريا في روسيا والذي أتى على العادات والتقاليد الموروثة البالية التي تعزز نفوذ الأب وسيطرته على المرأة «وبدل أن يكون سند المرأة الرجل أصبح سندها المجتمع والدولة»[2] فطوّحت بنظام الأسرة ومركزية الأب، لكن مع النظام الجديد كيف تكون العلاقة بين العامل والعاملة في الدولة العمالية؟

---

1 . انجلز: أصل العائلة، ص 45

2 كولونتاي: تحرر المرأة العاملة، ص 27

تقول ألكسندرا: «م تعد الأسرة ضرورية للدولة كما كانت بالأمس، لا بل إنها أسوء من مجرد مؤسسة عديمة الجدوى لأنها تمنع النساء العاملات من القيام بعملهن بمزيد من الإنتاجية والجد و لم تعد الأسرة ضرورية لأفرادها أنفسهم لأن مهام تربية الأطفال وقد كانت بالأمس ملقاة على عاتق الأسرة أخذت تنتقل الآن إلى عاتق المجموع»[1] فتغير النظام السياسي ينعكس على تغيير أوضاع الأسرة، فبعد الإطاحة بالنظام الأبوي وإزاحة أثقال التبعية للرجل واعتبار الزواج اتحادا بين رجل وامرأة متساويين سيتم تقويض أركان الأسرة البرجوازية خاصة الملكية الخاصة وعدم قابلية الزواج للفسخ بعد تقويض الهيمنة البرجوازية للعالم.

في ظل نظام اشتركي ستزول السمات المميزة للزواج القديم يقول أنجلز: «ستزول بكل تأكيد من أحادية الزواج تلك السمات المميزة التي طبعها بها نشوؤها من علاقات الملكية، وهذه السمات هي، أولا سيادة الرجل، وثانيًا استحالة فسخ الزواج. إن سيادة الرجل في الزواج هي مجرد نتيجة لسيادته الاقتصادية، وستزول من تلقاء ذاتها مع هذه الأخيرة. أما استحالة فسخ الزواج، فهي جزئيًا عاقبة للظروف الاقتصادية التي نشأت في ظلها أحادية الزواج»[2] ما يترتب على هذا القول: تقويض الملكية الخاصة ومبدأ عدم فسخ الزواج لاعتبار أساسي هو تغيير النظام السائد وسقوط سيادته. كما أن الزواج غدا اتحادا حرا نزيها بين كائنين، يقوم على الحب والاحترام بين أفراد الدولة، بدل الصراع والتناحر ويتم الخروج من ضيق وأنانية الأسرة الفردية إلى أسرة العمال الكبيرة الشاملة.

تسقط كذلك السمات النموذجية للمرأة القديمة في علاقتها بالرجل: كالغيرة والثأر النسوي وهي مشاعر تعتبرها ألكسندرا من ملامح العبودية تقول في هذا الشأن «إن النساء الجديدات لا يطالبن بملكية حبهن، فهن إذ ينشدن الاحترام لحرية مشاعرهن الخاصة، يتعلمن كيف يعترفن بهذه الحرية للآخرين أيضا.»[3]

---

1 المرجع نفسه، ص 33

2 انجلز: أصل العائلة، ص 55

3 كولونتاي: المرأة الجديدة، ص 15

في روسيا جديدة يعاد تنظيم الأسرة البروليتارية، بل لم تعد الأسرة من الضروريات لأفرادها أو للدولة وبل هي معوق في وجه التطور سيحل المجتمع محل الأسرة، وسيقوم بكل واجبات الأسرة التقليدية «يحل المجتمع محل الأهل في تنفيذ واجبات الإعالة والتربية.»[1] وسيتم تحرير المرأة من عبوديتها المنزلية التي تعتبرها ألكسندرا أقل إنتاجا وبلا قيمة. وهنا تتجاوز الدولة الشيوعية العمل الفردي إلى عمل جماعي.

ستكون الخطة الاشتراكية هي في تجذير فكرة الاشتراك في العيش أو مشاركة العيش في الحياة اليومية للإنسان بوصفه كائنا اجتماعيا. فالعلاقة بين الجنسين تقوم على الحياة المشتركة والعيش المشترك لتكوين خلف مشترك.

بوصف الزواج اتحادا لا مكان فيه للهيمنة الذكورية على المرأة، فيكون هذا الاتحاد موفقا بين هدفين التقاء المتحابين من جهة، وهدف اجتماعي سياسي اقتصادي من جهة أخرى. فالخطة الاشتراكية هنا هي في إزاحة أشكال الهيمنة المتلونة، ثم إنتاج جيل جديد نشا وتربّى تربية اجتماعية. بل أنها بهذا تغرس معنى العيش بحرية والوجود مع الآخرين، وتلتقي هاته الأهداف في الاتحاد بين جنسين مختلفين ومتساويين في الحقوق، فتكون العلاقة بين الزوجين فنا في العيش أو تتم عقلنة الرغبة «إن هناك نوعا من الرغبة الأساسية والأصلية عند الكائن البشري، وإن هذه الرغبة تتناول التقرب الجسدي ومشاركة الحياة على السواء. ولهذا الطرح نتيجتان: الأولى هي إن حيوية الغربة الفائقة هذه، لا تميز فقط الميل الذي يحث على الاتصال الجنسين، إنما أيضا ذلك الذي يحض على مشاركة العيش.»[2] فالحياة المشتركة تبني علاقات جديدة بين الزوج والزوجة، بعيد كل البعد عن علاقات الهيمنة والهرمية التقليدية، فهدفهم هو جماعية العيش، حياة مشتركة بلا هيمنة أب، بلامركزية.

والهدف السياسي من وراء هذا التحمل الملقى على عاتق الدولة هو ميلاد إنسان جديد ونجد هنا حضورا أنثويا في الدولة (التحمل والولادة) والتخلص من

1 كولونتاي: تحرر المرأة العاملة، ص 32

2 ميشال فوكو: الاهمام بالذات، تر جورج أبي صالح، ومراجعة مطاع الصفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت/لبنان، 1992، ص 105

الأنانية الذكورية «إن إنسان مجتمع الغد لن يولد بالتأكيد من أسرة الأمس التافهة الضيقة بما تنطوي عليه من نزاعات بين الوالدين واهتمامهما الأناني بأولادهما دون سائر الأولاد إن إنساننا الجديد يولد في رحم التنظيمات الاشتراكية»[1].

## المرأة الجديدة وتقويض هيمنة الآخر/المحبوب

تجهد ألكسندرا في كشف النظم الموروثة التي تفرض سيطرتها على تحرر المرأة بشكل مباشر أو غير مباشر، فقد تكون المرأة هي عدو تحررها ذاتها بشكل لا واعي بما ترسب في ذهنيتها بدونيتها وضعفها «التصورات البائدة ما تزال تستبد بعقل المرأة المتطلعة إلى تحررها ففي قرارة نفس المرأة يدور صراع تناحري بين الجديد والقديم.»[2] فلابد من تحولات ثورية في عقلية المرأة تترافق مع شروط حياتها الجديدة، ووضعها الجديد في الدولة العمالية، فقبول النساء مثلا بأجرة بخس هو أنهن اعتدن عبر العصور على الطاعة العمياء، وسيكفل تثقيف المرأة ووعيها بدورها الاجتماعي، وتعزيز ثقتها بنفسها وبقوتها الخاصة، وذلك بتوجيهها إلى النشاط العملي في مختلف مجالات النضال. فألكسندرا تعتبر نضال العمال الذكور من أجل تحصيل حقوق المرأة دون مساهمة فعلية من العاملات وإنما بالنيابة عنهن خطأ أساسي.[3]. لهذا فالمرأة تصارع على جبهتين داخلية مع الموروثات المتكلسة التي تشربتها من النظام الأبوي، وعلى جبهة خارجية من أجل افتكاك حقوقها في مجتمع أبوي «هكذا تتحول المرأة بالتدريج من موضوع في مأساة النفس الذكورية إلى ذات لمأساتها الخاصة»[4] حيث تحدث مقاومة لاواعية في نفس المرأة للتجديد والتحرر ربما هو نضال الأكثر أهمية من أجل التحرر الفعلي. فمولد المرأة الجديدة مخاض صعب وتمزيق لغشاءات متكلسة، وتراجيديا مفجعة نظرا لكل تلك الأثقال التي ترزح تحتها تاريخيا، وتلك الأوهام متراكمة في الزمن، خاصة وأن السلطة البطريركية هنا أيضا نفذت إلى ذهنيتها وعقلها وسجنته، وباتت هي ذاتها راضية

1 كولونتاي: تحرر المرأة العاملة، ص 32
2 كولونتاي: المرأة الجديدة، ص 24
3 كولونتاي: تحرر المرأة العاملة، ص 24
4 كولونتاي: المرأة الجديدة، ص 25

بوضعها الدوني، بل لا تفكر أبدا في التحرر. إذا فولادة المرأة الجديدة هي ولادة ذاتية تقيم قطيعة مع المرأة الماضي، وتتخلص منها وتحرقها وتخرج من بعد تلك المحرقة كائنا جديدا، فإذا لم تساهم هي ذاتها في تحرير ذاتها بذاتها فإن تحررها يغدو مضللا. «لكي تبلغ المرأة العاملة مرحلة نضج الآراء التي يبلغها العامل العادي فهذا يعني أن تحقق قطيعة كاملة مع التقاليد والمفاهيم والعادات التي تسعى للمحافظة على نمط من النساء أنتجته أطوار النمو الاقتصادي السابقة»[1]

تجديد الوعي عند المرأة بذاتها ككيان متفرد يولد ذاته بذاته، وأنها كائن إنساني يعزز قوتها في عدم تقبل الوضع الدوني المهمش وتناضل من أجل إزاحته، فلا ترضى أن تبقى في نظر الرجل أداة متعة تشحذ رغباته الجنسية، ولا ينظر إليها كمثقفة فهو يبقى أسير ما ترسب من أوهام في عقله «فكلما ازدادت شخصية المرأة إرهافا، وتعاظم شعورها بأنها "كائن بشري" صعب عليها أكثر فأكثر تحمل إهانة الرجل، الذي يتعامي بسبب عقليته التي تكونت عبر أجيال، عن رؤية الفردية التي تستيقظ لدى المرأة المشتهاة»[2]

في انعطاف من الصراع الخارجي والنضالات الثورية، إلى الصراع الجواني في نفس المرأة، تلجأ ألكسندرا إلى الأدب والرواية الطليعية، تستريح وتحط عندها هموم المرأة، لتبحث عن المرأة الجديدة، فتختار بطلاتها من جميع الجنسيات، وسائر الطبقات الاجتماعية، وتبحث عن الميزات السيكولوجية للمرأة الجديدة المختلفة عن المرأة القديمة التابع للرجل، تضع ألكسندرا تصورا للمرأة الجديدة، وإن كانت المرأة القديمة في بعض الأحيان تبقى متربصة ببعض البطلات، التي تبقى تنازعها الصورة التقليدية المتوارثة عن ذاتها. فالمرأة الجديدة نموذج جديد، يحتج على عبودية المرأة المتعددة الأوجه، في الدولة، وفي الأسرة والمجتمع، نموذج يناضل من أجل حقوقه، نساء يخضن نضالا خفيا ومتواصلا من أجل الحياة.[3]

النضال والصراع من أجل الوجود، من أجل البقاء، حتم على المرأة الجديدة قهر عواطفها، أو ضبطها والتخلص من هيمنة الآخر المحبوب متى ما شكّل حبه

1 كولونتاي: تحرر المرأة العاملة، ص 13
2 كولونتاي: المرأة الجديدة، ص 17
3 المرجع نفسه ص 7

تهديدا لوجودها الفريد، وهو أمر فرضه الواقع «إن الواقع المعاصر يفرض بقسوة على كل امرأة لها صفة أو مهنة أو عمل خارج البيت، يفرض عليها انضباطية وقوة إرادة، قادرتين على قهر مشاعرها وهو شيء نادر ماكان يتوفر لدى المرأة القديمة»[1] ماكان يعاب على المرأة بالأمس هو رجحان عواطفها، لكن اقتحام المرأة مجال العمل تعلمت كيف تضبط عواطفها، وكيف تقدم فكرها قبل عواطفها وانفعالاتها.

لم يعد الحب مضمون حياة المرأة الجديدة، بل هو في مرتبة ثانوية في حياتها أمام العمل، فالحب عندألكسندرا تجربة عاطفية وليس على المرأة أن تعطي الحب دورا رئيسا في حياتها، الحب ليس الهدف الأساسي للحياة بل العمل هو محور الحياة، بل هو عندها أسر آخر واستعباد جديد، لا بد من التحرر منه «وشعرنا بأننا مستعبدات وحاولنا التحرر من قيد الحب، وبعد نضالات متواصلة مع المحبوب، انعتقنا أخيرا وتدافعنا نحو الحرية وسقطنا مجددا في الوحدة والتعاسة والوحشة لكننا كنا ننعم بحرية السعي وراء فارس أحلامنا –العمل–»[2] فالمرأة تقلق على حريتها واستقلالها من الحب ومن هيمنة الآخر المحبوب، وخطر فقدان الشخصية في أمواج الحب«يشعر الكائن الذي أمامنا وقد تحرر لهنيهة من نشوة الحبيب ليعود إلى نفسه»[3] فتعوّد المرأة على قسوة الواقع، ونضالاتها الخارجية ضد الهيمنة، لن يعجزها الآن أن تسقط هيمنة الحب، تعوّدت في الزمن على الانفصال عن رغباتها، وربما قتلها، لن يعجزها إزاحة هيمنة الرجل، تعودت على الألم لم يعد ربما هناك معنى للألم لقد انعتقت من الحزن والألم، الذي تشعر بها المرأة القديمة التي تفقد الرجل/سندها الروحي والمادي بل حتى في حديثها عن نماذج المرأة الجديدة التي تنكسر تجربتها العاطفية لا تخفي ألكسندرا أن تلك النساء يتعرضن للألم لكنهن يتجاوزنه بسرعة «الفشل والخيبة والإحباط نتائج متوقعة لامرأة ترفض أن تخدع نفسها، وتعيش أوهاما جاهزة ومجربة، فتحيا وجودها الخاص غير متكئة على شيء سوى إصرارها على ممارسة وجودها»[4]، تخلصت

---

1 المرجع نفسه ص 15

2 كولونتاي: تحرر المرأة العاملة، ص 4

3 كولونتاي: المرأة الجديدة، ص 19

4 حفناوي بعلي: "نحو تأسيس استاطيقيا جمالية نقدية في الخطاب والمعرفة النسوية"، مجلة انزياحات، العدد 4 أغسطس– سبتمبر، مركز انزياحات للتنمية الثقافية، 2010، ص 89

وتجددت ذهنيتها وتكوينها النفسي في عدم التشبه بالرجل، فهي بعد الآن ليست ظله «لقد احتاجت المرأة إلى انقلاب هائل في نفسها، إلى اعتناء عظيم لحياتها الفكرية، التي تراكم رأسمال ضخم من القيم الخاصة، كي لا تضطر إلى إشهار إفلاسها عندما يسحب الرجل حصته المساهمة التي أودعها في حياتها»[1] تستعمل ألكسندرا مصطلحات الرأسمالية بعد أن هدمتها من الداخل فالعلاقة بين الجنسين تتضمن هيمنة وسلطة تفترض النضال ضدها هي الأخرى. ومن هنا يفتح باب مهم في معركة المرأة ضد نفسها والتحرر من المرأة التابع والمملوكة.

تناضل المرأة الجديدة ضد ضيق الأخلاق الجنسية، فهي ترفض الزهد في الجسد، ولا تهرب من الحياة، بل تعيش تجارب عاطفية «الاعتراف بالأنا، هذا الانتصار على شبح الوحدة القاسية الذي ما يفتأ يتهددنا ويتوعدنا لا يتحققان إلا عن طريق إشباع الرغبة الجنسية.»[2] فألكسندرا الخبيرة بالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية، لا يخفى عليها الصراع القديم بين إيروس وثناتوس، والاقتصاد الليبيدي، واحتياط الغرائز المكبوتة التي تتحين الفرص للانطلاق والتحرر من الكبت والقمع، الذي ينتج عن الخضوع لأنا أعلى يمارس سلطته وهيمنته على الغرائز الإيروسية، هذا النضال من أجل التحرر الذي قد يسلك سلوكا تدميريا عدوانيا أويسلك طريقا ملتويا لا تنتبه إليه رقابة الأنا الأعلى[3] «وحده الحب العظيم قادر على تحقيق الرضا التام، ويقدر ما يكون احتياطي طاقة الحب، في النفس البشرية ضئيلا والعلاقات الاجتماعية محدودة والسيكولوجيا البشرية فقيرة بمشاعر التضامن، تكون أزمة الحب أكثر حدة. تنمية طاقة الحب هذه وتهذيب السيكولوجيا البشرية، وإعدادها لاستقبال الحب العظيم، تلك هي المهمة الأساسية التي تقع على عاتق الصداقة الغرامية.»[4] وستحل الأزمة الجنسية والأمراض النفسية للبشرية بالاعتراف بالآخر، والتحرر من أشكال العبودية والاستغلال والقهر «إن تجربة اللذة والجنس

1 كولونتاي: المرأة الجديدة، ص 20

2 كولونتاي: المرأة الجديدة، ص 32

3 يمكن في هذا الصدد الرجوع إلى كتاب سيغموند فرويد: ما فوق مبدأ اللذة، تر إسحاق رمزي، ط5، دار المعارف مصر، 1994.

4 كولونتاي: المرأة الجديدة، ص 33

تساعدان الإنسان على استعادة آلامه القديمة القابعة في أعماقه السحيقة، فتستيقظ غرائزه التي طمرها الكبت عبر الحقب التاريخية المتعاقبة، وتستعيد نشاطها وحيوتها، من هنا وجب العمل على تحطيم كل أنواع الاغتراب والضغوطات التي شكل ذواتنا التاريخية وصاغتها ضمن قوالب جاهزة»[1]، تجاهد الغرائز الايروسية المكبوتة من أجل تحقيق اللذة والتحرر من الكبت، وهذا التحرر والنضال يمر بقطائع معرفية مع أوهام مترسخة تاريخيا، حتى يولد إنسان جديد متحرر من الكبت، الذي يسبب الألم والمرض النفسي فتكون هذه هي لذته نضاله من أجل تحقيق ذاته، كيانا مستقلا، وربما لهذا يصبح الحب «مجرد مرحلة، مجرد وسيلة، لكشف عن أناها الحقيقية»[2] التحرر من كل هيمنة متلونة كالحرباء. وفضح استراتيجيات الهيمنة الأبوية على الجسد/المهمش/الضعيف. فالسلطة أخذت لها مواقع جديدة تستلزم نضالا مختلفا ووعيا حادا.

يقوم الصراع على تخوم الأنا بين الرغبة والواقع، يجعل الذات تتعلم التخلي عن النرجسية/الأنانية ويقضي على الاغتراب والشعور بالخطأ والإثم، والقبول بالتعددية، والاعتراف بالآخر، والتخلص من الصراع والتناحر في عالم يتسع للجميع تمكن تجربة الجنس الإنسان من أن يعي الحدود التي تتحكم بحياته، كما تتعلم الذات العطاء لهذا المحبوب وتتعود الأنا تأجيل إشباع رغباتها في تلك الفسحة من الزمن تعمل على تحويلها وإخراجها مخرجا جديدا بحيث لا تلتفت إليها رقابة الأنا الأعلى، وتتعود كذلك على التخلص عن التي لا تتوافق والواقع.

تدرك ألكسندرا جيدا أن كبت وقمع الغرائز الجنسية سيكون عدوانيا ومدمرا حيث تنصر غريزة الموت على غريزة الحياة، فلابد إذن من صيرورة إنتاجية تحويلية يقوم بها اللاوعي يتم فيها التنفيس عن هاته الغرائز وتحويلها إلى نشاطات إبداعية تفيد الحضارة والبشرية ككل أو ما يعرف بالتسامي، بدل العنف والموت يكون البناء والخلق الذي لا يكون إلا بهدم الأوهام «لقد آن الأوان كي ندرك أنه لابد من التعرف أولا إلى السيرورة الخلاقة التي تتم في الأعماق الاجتماعية والتي تولّد

1 عمرمهيبل: من النسق إلى الذات، قراءات في الفكر الغربي المعاصر، ط1 منشورات الاختلاف، الجزائر، 2001، ص 209

2 كولونتاي: المرأة الجديدة، ص 34

حاجات جديدة ومثلا عليا وأشكال جديدة»[1] صيروة تحويل الغرائز الجنسية/المهمشة وإخراج التجربة الباطنية للكائن مخرجا جماليا يعادل صيروة تحويل الاجتماعي لماهو مهمش ومضطهد وتحريره باعتبارها كذلك عملية فاعلة وديناميةإنتاجية) للكشف عن الإنسان المسجون وتحريره.

لما تربط ألكسندرا بين حلول النوع البشري وحلول الطبقة الاجتماعية، ترى أن السبب ينبثق من مبدأ الملكية الفردية، وفرض الرقابة على الآخر. وثانيا مبدأ عدم المساواة، وكحلول لهذه الأزمة الجنسية لابد من إعادة تربية لسيكولوجيا الإنسان «ولن يكون في وسع البشرية العثور على مفتاح هذه الحلقة المسحورة، إلا بعد أن تحقق في سيكولوجيتها تراكما كافيا في احتياطي الأحاسيس المرهفة، وإلا بعد أن تكون طاقة الحب قد ازدادت في نفسها، وإلا بعد أن يتوطد مفهوم الحرية في الزواج وفي العلاقة الحرة، وإلا بعد أن ينتصر مبدأ الرفاقية على المفاهيم التقليدية القائلة باللامساواة وبالتبعية في العلاقات بين الجنسين»[2] يبدو حلما طوباويا هل سيتحقق في دولة عمالية بعد أن فشلت الرأسمالية؟ بحسب ألكسندرا سيتحقق في الدولة العمالية التي ستطوّح بالنظام البرجوازي من خلال تلك الإجراءات التي سبق ذكرها، يتبين أن المرأة أخذت موضعا وموقعا مهما في المجتمع الجديد... لكن هل يمكن فعلا القضاء على السلطة أم هي قدر لا فكاك منه.. فالتاريخ يشهد أنه غالبا ما تنهي الحركات التي كانت تنقد وتفضح السلطة تمارس ما كنت تنقده وتفضحه أذا ما انتهت السلطة إليها بل قد تعود في صورة وعلى شاكلة مختلفة خاصة وأن السلطة في حد ذاتها سائلة واخترقت الكثير من مؤسسات المجتمع، بل حتى نفذت إلى داخل البنية التكوينية النفسية للكائن. لهذا فلابد من استراتيجيات جديدة لتعرية الأنظمة وفضحها والإشارة إلى مناطق تناقضاتها وجعلها تتداعى من تلقاء ذاتها.

تعزز ألكسندرا ملكة المقاومة عند المرأة، كما تنبهها إلى أشكال الهيمنة المختلفة التي تغير في كل طور شكلها لتظهر في شكل آخر، وتنتقل من صراع خارجي ظاهر بين الطبقة العمالية والبرجوازية، إلى صراع باطني خفي في النفس البشري. فهي كما يقول عنها بارت جرثومة عالقة بمختلف المنظومة المجتمعية. بل

1 المرجع نفسه، ص 43
2 المرجع نفسه، 40

تدخل في تكويننا وتخترقنا جميعا، وهي مرتبطة بتاريخ البشرية «إن كانت السلطة متعددة في الفضاء الاجتماعي، فهي بالمقابل، ممتدة في الزمان التاريخي. وعندما نبعدها وندفعها هنا، سرعان ما تظهر هنالك؛ وهي لا تزول البتة قم ضدها بثورة بغية القضاء عليها، وسرعان ما تنبعث وتنبت في حالة جديدة.»[1]

في تحليلها لأشكال الصراع، وانتقالها بين الباطني والخارجي لحضور السلطة، وغياب حقوق المرأة في المجتمع، نجد ألكسندرا تبحث عن حد ثالث مختلف وتستفز السؤال: هل يمكن العيش مع أو في عالم يتسع للجميع، مجتمع من غير تناحر ولا صراع، مجتمع يعيش بالحب حيث يتعرف الكائن على أناه الخاصة، من غير أن ينغلق على ذاته بل يقيم علاقات مع الآخرين ربما أسميها علاقات الجوار بدل التضاد، علاقات بلا عقد نفسية. مجتمع يحترم الوضع الخاص والمختلف لمن هو هامشي بل يدمجه في بنيته، وفي توزيع الثروة بشكل عادل. وسيقضى حتما على اغتراب الإنسان عن ذاته.

## خاتمة:

كرست الثقافة الغربية هيمنة الذكر وتفوقه، في مقابل هامشية وتبعية المرأة ودونيتها، وهو ما كان سببا في حرمان المرأة وعدم الاعتراف بحقوقها من قبل الدولة والمجتمع، واستعبادها داخل أسرها، واستغلالها من قبل النظام الرأسمالي القائم على الملكية الخاصة، والتفوق، والصراع والاستغلال. لهذا لا يكون الاعتراف بالمرأة-إنسانا ومواطنا له كامل الحقوق- ممكنا، إلا ما تمت الإطاحة بمركزية الأب، وتقويض السلطة البطريركية التي انتشرت في كل المؤسسات الاجتماعية، واخترقت حتى النفس البشرية، لهذا تحتاج المرأة كذلك إلى معركة مع نفسها، وثورة على ما ترسب في عقل المرأة من أوهام عن دونيتها وضعفها، تشربتها من النظام الأبوي؛ أي تجديد الوعي عند المرأة بذاتها ككيان متفرد يولد ذاته بذاته، وأنها كائن إنساني، وهو ما يعزز قوتها في عدم تقبل الوضع الدوني المهمش وتناضل من أجل إزاحته.

---

1 رولان بارت: درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، ط3، دار توبقال للنشر. المغرب، 1993، ص 12

ناضلت ألكسندرا ضد تبعية المرأة للرجل اقتصاديا واجتماعيا، كما ناضلت ضد الاستغلال الرأسمالي لقوة عمل المرأة، لهذا تركز ألكسندرا على فاعلية المرأة في المجتمع والتأكيد على عملها، هذا الأخير الذي سيطوّح بتبعية المرأة للرجل، وإلغاء سيادة الرجل في الزواج، الذي غدا اتحادا حرا بين رفاقين متحابين متساويين، خاصة وأن المرأة استقلت ماديا عن زوجها بعملها المنتج، والذي علّمها كذلك قهر عواطفها وتأخير انفعالاتها وتقديم فكرها، والتخلص من هيمنة الآخر/المحبوب متى ما شكّل حبه تهديدا لوجودها الفريد في صراعها من أجل الوجود.

تدمج ألكسندرا نضال المرأة من أجل الاعتراف بها في صراع الطبقة العاملة ضد النظام الرأسمالي، لأنها آمنت أن تغيير أوضاع المرأة وتحريرها يكون بتغيير المجتمع وتحريره من نير الرأسمالية. ولم يكن نضالها هذا يتعارض مع نضال الطبقة العاملة، فقضية المرأة بالنسبة للاشتراكيين جزء عضوي من القضية الاجتماعية الشاملة، كما اقتضت المصلحة المشتركة دمج العاملات في نضالهم.

تعتبر ألكسندرا أن الصراع بين الجنسين صراع مضلل، ذلك أن المجتمع هو من يسم أفراده جنسيا إما قويا/ذكرا أو ضعيفا/أنثى، ومن هذا الوسم الاجتماعي يتم تبرير استغلال الإنسان للإنسان، أو يخول له حتى اضطهاده أو تملّكه، وتنشأ من ثمة الصراعات والتناحرات. وعليه بدل الانشغال بطلب المساواة التامة بين الجنسين الذي جنى على الحقوق الاجتماعية للعاملة الأم، لابد من اجتذاب المرأة إلى الصراع الطبقي.